

الرَّسَالَةُ ١٧٩

سَلِمُوا عَلَى أُمَّةٍ .. أُمِّي

(Arabic – His mother has been mother to me)

أحبائي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنِ النِّقَاوَةِ وَالصَّفَاءِ وَالقُوَّةِ فِي مَحَبَّةِ جَعَلَتْ: "أُمَّةٌ .. أُمِّي"
ومن رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية الأصحاح السادس عشر نقرأ العدد الثالث عشر:

"سَلِمُوا عَلَى رُؤُوسِ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ.. وَعَلَى أُمَّةِ أُمِّي".^١

إنَّ العَرَائِزَ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ فِي الْإِنْسَانِ يُمارِسُهَا المَرْءُ بِالْفِطْرَةِ وَلَيْسَ بِتَعْلِمِهَا. وَلَقَدْ اخْتَصَّ اللهُ المَرْأَةَ بِغَرِيزَةٍ فَرِيدَةٍ هِيَ غَرِيزَةُ الأُمُومَةِ. وَبِذَوْنِهَا لَا كِيَانَ لِشَكْلِ الأُسْرَةِ. وَمَحَبَّةُ الأُمِّ لِأَوْلَادِهَا لَا تَمَائِلُهَا مَحَبَّةً عَلَى الإِطْلَاقِ فِي النِّقَاوَةِ وَالصَّفَاءِ وَالقُوَّةِ. فَالأُمُّ فِي سَبِيلِ أَوْلَادِهَا تُهَوِّنُ عَلَيْهَا كُلَّ تَضْحِيَةٍ. وَلَا يَشْغَلُ قَلْبَهَا أَوْ عَقْلَهَا أَكْثَرَ مِنْ بَنِيهَا وَبَنَاتِهَا. وَبِالأَمِّ ضَرْبَ اللهِ المِثْلَ لِمَحَبَّتِهِ. يَقُولُ الوَحْيُ بِسُفْرِ إِشْعِيَاءَ وَالكَلَامُ مُوجَّهٌ إِلَى صِهْيُونِ الَّتِي تَمَثِّلُ شَعْبَ اللهِ القَدِيمِ: "هَلْ تَنْسَى المَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلَا تَرْحَمُ ابْنَ بَطْنِهَا؟. حَتَّى هُوَلاءِ يَدُسُّونَ وَأَنَا لَا أُنْسَاكَ". وَلَقَدْ كَانَ الإِخْتِبَارُ الَّذِي امْتَحَنَ بِهِ سُلَيْمَانَ الحَكِيمِ سَيِّدَتَيْنِ جَاءَتَا إِلَيْهِ بِطِفْلٍ ادَّعَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا كَذِبًا أَنَّهُ ابْنُهَا. هُوَ امْتِحَانٌ لِلأُمُومَةِ الحَقِيقِيَّةِ. فَحِينَ سَأَلَ الحَكِيمُ حَامِلَ السَّيْفِ أَنْ يَقْطَعَهُ نِصْفَيْنِ وَيُعْطِيَ كِلَا مِنْهُمَا نِصْفَهُ رَفَضَتْ الأُمُّ الحَقِيقِيَّةُ الحُكْمَ بِقِطْعِهِ. وَطَلَبَتْ أَنْ يُعْطِيَ لِمَنْ ادَّعَتْ كَذِبًا أَنَّهُ أُمَّةٌ وَقَبِلَتْ الحُكْمَ بِقِطْعِ الطِّفْلِ نِصْفَيْنِ!. إِنَّ الأُمُومَةَ الصَّادِقَةَ كَشَفَتْ الأُمُومَةَ المَرْيُفَةَ. الأُمُومَةُ الصَّادِقَةُ قَبِلَتْ أَنْ تَحْرِمَ نَفْسَهَا مِنْ ابْنِهَا. لَيْسْتَ تَمْتَعُ بِحَيَاةٍ قَدْ خَلَقَهُ اللهُ لِحَيَاتِهَا.^٢

تَتَأَذَى حِينَ نَرَى الأُسْرَ مُفَكَّكَةً. مِمَّا أَضَاعَ حُقُوقَ الصِّغَارِ عَلَى آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ. فَقَدْ حُرِّمَ الأَبْنَاءُ مِنْ مَقُومَاتِ الحَيَاةِ الكَرِيمَةِ. فَالْكِيَانُ الأُسْرِيُّ السَّلِيمُ يُسَاهِمُ بِقَدْرٍ كَبِيرٍ فِي تَكْوِينِ الشَّخْصِيَّةِ المُتَكاملَةِ السَّلِيمَةِ. وَعَلَى الأَحْصَى الأُمُّ المُؤْمِنَةُ الَّتِي تَعِيشُ فِي خَوْفِ اللهِ. فَهِيَ تَنْشِئُ أَوْلَادَهَا عَلَى حِفْظِ كَلَامِ اللهِ وَطَاعَتِهِ وَالعَمَلِ بِوَصَايَاهُ. وَإِذَا نَشَأَ الأَوْلَادُ النِّشْأَةَ الصَّحِيحَةَ فِي كَنَفِ أُسْرَةٍ يَعْرِفُ كُلُّ فَرْدٍ فِيهَا مَسْئُولِيَّاتِهِ وَوَجَابَاتِهِ. شَبَّ الأَوْلَادُ مُعْتَرِفِينَ بِفَضْلِ أُمَّهَاتِهِمْ وَأَبَائِهِمْ فِي مُسْتَقْبَلِ حَيَاتِهِمْ مُعْطِينَ لِأُمَّهَاتِهِمْ حَقَّهُمْ مِنْ تَقْدِيرٍ وَإِكْرَامٍ. لَقَدْ تَضَمَّنَتْ الوَصَايَا العَشْرَ أَوَّلَ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ وَهِيَ إِكْرَامُ الوَالِدَيْنِ. وَأَعْظَمُ مِثْلٍ لَنَا هُوَ شَخْصُ الرَّبِّ يَسُوعَ. فَلَقَدْ كَانَ مُعْلَقًا عَلَى خَشْبَةِ الصَّلِيبِ وَلَكِنْ لَمْ يَفْتَهُ أَنْ يُكْرَمَ أُمَّةُ القَدِيسَةِ السَيِّدَةِ العِزْرَاءِ. كَانَ بَارًا بِهَا حَتَّى لِحْظَاتِ الصَّلِيبِ. يَذْكَرُ يُوْحَنَّا البَشِيرُ فِي إِنْجِيلِهِ ذَلِكَ الأَمْرَ قَائِلًا: "فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّةً وَالتَّلْمِيزَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَأَقْفًا. قَالَ لِأُمَّةٍ: يَا امْرَأَةُ هُوَذَا ابْنُكَ. ثُمَّ قَالَ لِلتَّلْمِيزِ: هُوَذَا أُمَّكَ. وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التَّلْمِيزُ إِلَى خَاصَّتِهِ". لَقَدْ كَانَ الرَّبُّ يَسُوعُ يَخْتَصُّ يُوْحَنَّا بِمَحَبَّةٍ كَبِيرَةٍ. لِذَا حَمَلَهُ بِمَسْئُولِيَّةِ التَّكْفَلِ بِالقَدِيسَةِ مَرْيَمَ أُمَّ يَسُوعَ. لَيْتِنَا نَعْطِي كُلَّ أُمَّةٍ حَقَّهَا مِنَ التَّقْدِيرِ وَالإِكْرَامِ وَالعِنَايَةِ وَالرَّعَايَةِ.^٣

قَدْ نَلِاحِظُ تِلْكَ الأَيَّامَ شُدُودًا فِي تَعَامُلِ بَعْضِ الأُمَّهَاتِ مَعَ أَوْلَادِهِنَّ وَبَنَاتِهِنَّ وَتَمَرُّدِ الأَوْلَادِ عَلَى وَالدِيهِمْ. فَلَقَدْ تَسَبَّبَ تَفْكَكُ الأُسْرَةِ فِي حَرَمَانِ الأَوْلَادِ مِنْ أُمَّةٍ مُصَدَّرٍ لِلرَّعَايَةِ وَالحُبِّ. وَيَرْجِعُ تَمَرُّدُ الأَوْلَادِ عَلَى أَسْرِهِمْ إِلَى أَنَّ المَسِيحِيَّةَ الإِسْمِيَّةَ هِيَ عَقِيدَةُ العَصْرِ الحَدِيثِ. لَقَدْ انشَغَلَ الآبَاءُ وَالأُمَّهَاتُ بِغَيْرِ وَاجِبِهِمُ الأَسَاسِيِّ. كَمَا أَنَّهُمْ فَتَحُوا أَبْوَابَ مَنَازِلِهِمْ لِلإِلَهَةِ الغَرِيبَةِ الَّتِي شَغَلَتْ كُلَّ فَرْدٍ مِنَ أَفْرَادِ الأُسْرَةِ. يَا لِأَسْفَ لَقَدْ انصَرَفَ أَفْرَادُ الأُسْرَةِ عَنِ المَدَبِجِ العَائِلِيِّ وَفَقَدُوا لَذَّةَ التَّمَتُّعِ الأُسْرِيِّ بِحُضُورِ الرَّبِّ الَّذِي يَغْمُرُ القَلْبَ بِالسَّلَامِ وَالتَّمَانِينَةِ وَالقَرَحِ الحَقِيقِيِّ.^٤

لَقَدْ أَصْبَحَتْ رُؤْيَا أُمَّةٍ مَسِيحِيَّةٍ مُتَعَبِّدَةٍ لِلَّهِ بِالحَقِّ عَمَلَةٌ نَادِرَةٌ. وَاعْتَادَ النَّاسُ أَنْ يَرَوْا الأُمَّةَ المَسِيحِيَّةَ مُتَعَبِّدَةً لِلزَّيْنَةِ الخَارِجِيَّةِ وَمُنْتَطَلِبَاتِ العَصْرِ الحَدِيثِ. تَقُومُ الأُسْرَةُ بِزِيَارَةِ الكَنِيسَةِ كَعَادَةٍ مِنْ أُسْبُوعٍ لِأُسْبُوعٍ. لِقَضَاءِ مَا

^١ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ١٦: ١٣ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ سفر إشعيا ٤٩: ١٥

^٣ إنجيل يوحنا ١٩: ٢٦ - ٢٧

^٤ سفر التكوين ٣٥: ٢

يُعَادِلُ سَاعَةً أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا فِي عِبَادَةِ شَكْلِيَّةِ اللَّهِ. تَنَبَّأَ عَنْ هَؤُلَاءِ إِشْعَبَاءُ فِي سَفَرِهِ قَائِلًا: "يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ وَيُكْرِمُنِي بِشَفَقَتِهِ. وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا". لَقَدْ كَانَتْ أُمُّ رُؤْفَسَ أَمَّا صَالِحَةً مُتَعَبِّدَةً لِلَّهِ. لِذَلِكَ يَكْتُبُ بُولَسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي رُومِيَّةَ قَائِلًا: "سَلِّمُوا عَلَى رُؤْفَسَ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ وَعَلَى أُمِّهِ أُمِّي".^١

إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَرَسَ حَيَاتَهُ لِلرَّبِّ بِصِدْقٍ. سَكَنَ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِي قَلْبِهِ. وَانْسَكَبَتْ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِيحْيَا حَيَاةَ الْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ الْمَشْهُودِ لَهَا. لَقَدْ قَالَ بُولَسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي رُومِيَّةِ الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ: "لَأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ انْسَكَبَتْ فِي قَلْبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا". إِنَّ الْأَخْتَ الْمُؤْمِنَةَ وَقَدْ حَبَّأَهَا اللَّهُ طَبِيعَةَ الْأُمُومَةِ الَّتِي تَمْتَنُّ بِالْمَحَبَّةِ الصَّافِيَةِ النَّقِيَّةِ الْمُضْحِيَّةِ. إِذَا كَرَسَتْ حَيَاتَهَا لِلرَّبِّ. فَلَا بُدَّ أَنَّهَا سَتَخْتَبِرُ سَكْبًا أَعْمَقَ مِنْ مَحَبَّةِ أَعْوَى تَقْبِضُ بِهَا عَلَى أَفْرَادِ أُسْرَتِهَا وَعَلَى مَنْ حَوْلَهَا. لَقَدْ وَجَدَ بُولَسُ الرَّسُولُ ذَلِكَ النَّوْعَ مِنَ الْمَحَبَّةِ فِي بَيْتِ رُؤْفَسَ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ. فَشَهِدَ لِتِلْكَ الْأُمَّ شَهَادَةَ طَبِيعَةٍ. إِذْ وَجَدَ فِي قَلْبِهَا مَحَبَّةً لَهُ كَمَحَبَّةِ أُمِّهِ. لِذَلِكَ كَتَبَ فِي رِسَالَتِهِ يَقُولُ: "سَلِّمُوا عَلَى رُؤْفَسَ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ وَعَلَى أُمِّهِ أُمِّي". هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أُمَّ رُؤْفَسَ كَانَتْ قَادِرَةً أَنْ تَمْتَحَ مِنْ خَالِصِ حُبِّهَا لَيْسَ لِأَوْلَادِهَا فَقَط. بَلْ فَاضَتْ مَحَبَّتَهَا وَتَفَاضَلَتْ وَشَمَلَتْ الْقَدِيسِينَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهَا. لِذَرَجَةِ أَنَّهُمْ اعْتَبَرُوهَا أَمَّا لَهُمْ. وَأَحْسَوْا بِنَرَاءِ مَحَبَّتِهَا الَّتِي أَعْنَتْ الَّذِينَ فَقَدُوا أُمَّهَاتِهِمْ بِالْمَوْتِ أَوْ لِسَبَبٍ مَا مِنْ الْأَسْبَابِ.^٢

ذَلِكَ يَذْكُرُنِي بِتِلْكَ الْأَمْرِيكِيَّةِ الشَّابَّةِ **Lillian Trasher** الَّتِي جَاءَتْ إِلَى مِصْرَ وَعَاشَتْ فِي مَحَافِظَةِ أَسْهُوطَ وَأَنْشَأَتْ مَلْجَأً لِلْأَيْتَامِ وَكَرَسَتْ شَبَابَهَا بَلْ الْعُمَرَ كُلَّهُ وَقَامَتْ بِدَوْرِ الْأُمَّ لِآلَافٍ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ. وَيُذَكِّرُنِي أَيْضًا بِالْفَاتِنَةِ الْهُولَنْدِيَّةِ **Helen Verhoeven** الَّتِي جَاءَتْ إِلَى مِصْرَ مِنْ هُولَنْدَا. وَأَقَامَتْ فِي مَحَافِظَةِ سُوَهَاغَ بِمَدِينَةِ طَمَا. وَأَنْشَأَتْ مَدْرَسَةً ضَمَّتْ لِآلَافِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ. وَغَرَسَتْ فِي تِلْكَ الْأَجْيَالِ الْمَبَادِئَ الْمَسِيحِيَّةَ. وَقَامَتْ بِتَوْصِيلِ بَشَارَةِ الْإِنْجِيلِ لَهُمْ. وَمَا اسْتَطَاعَ الْعَدُوُّ أَنْ يَهْدِمَ عَمَلًا مَعْجَزِيًّا أَقَامَتْهُ الْأُولَى أَوْ الثَّانِيَّةَ. لَقَدْ أَقَامَاهُ بِتَضْحِيَّاتٍ وَصَلَوَاتٍ وَإِرَادَةٍ لَا تَخْضَعُ لِمُعَوَّقَاتٍ. مَعَ أَنَّ الْإِثْنَيْنِ وَاجَهًا أَيْشَعُ صُورَ الْاضْطِهَادِ. وَلَكِنَّ الرَّبَّ أَقَامَ مِنَ الَّذِينَ فَاضَتْ الْقَدِيسَتَانِ عَلَيْهِمْ مِنْ فَيْضِ مَحَبَّتِهِمَا وَأُمُومَتِهِمَا الصَّادِقَةِ. مَنْ وَقَفَ بِجَانِبِهِمَا أَمَامَ النَّيَّارِ الْمُضَادِّ لِعَمَلِ الرَّبِّ. كَانَتْ مَحَبَّتُهُمَا مِنَ النَّوْعِ الَّذِي يَصْنَعُ الْمُعْجَزَاتِ. "الْمَحَبَّةُ الَّتِي لَا تَسْقُطُ أَبَدًا". لِأَنَّهَا مَحَبَّةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أُسَاسٍ مِنْ تَضْحِيَّةٍ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. لَيْتَ كُلُّ أُخْتٍ مَسِيحِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ تَظْهَرُ مَسِيحِيَّتَهَا بِرُوحِ الْأُمُومَةِ. الَّتِي هِيَ طَاقَةٌ طَبِيعِيَّةٌ اكْتَسَبَتْ قُوَّةَ أَعْظَمِ بَنَوَالِ الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ وَأَثْمَرَتْ فِي كَلْبَتَيْهِمَا وَيُعَوِّزُنِي الْوَقْتُ لِأَتَحَدَّثَ عَنِ **Mother Teresa**.^٣

إِنَّ الَّذِينَ عَرَفُوا الرَّبَّ عَنْ طَرِيقِ أُمَّهَاتِهِمْ وَالَّذِينَ تَأَثَّرُوا بِحَيَاةِ أُمَّهَاتِهِمْ عَدَدٌ يَفُوقُ التَّصَوُّرَ. كُنْتُ أَمْتَمِّي لَوْ كَانَ لَدَيَّ إِحْصَاءٌ مَدْرُوسٌ عَنِ النِّسْبَةِ الْمُثْوِيَّةِ لِمَنْ تَأَثَّرُوا بِأُمَّهَاتِهِمْ بِالنِّسْبَةِ لِلْآخَرِينَ الَّذِينَ تَأَثَّرَتْ حَيَاتُهُمْ بِمَصَادِرٍ أُخْرَى. فَبِكُلِّ تَأَكِيدٍ إِنَّهَا نِسْبَةٌ عَالِيَةٌ لِمَنْ قَادَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَى الرَّبِّ فِي حِدَاتِهِمْ. لَيْتَ كُلُّ أُمَّ مَسِيحِيَّةٍ لَا تَكْتَفِي بِإِغْدَاقِ حُبِّهَا وَرِعَايَتِهَا عَلَى أَبْنَائِهَا وَحَسْبُ. بَلْ تَسْكُبُ حُبِّهَا فِي دَائِرَةٍ أَوْسَعٍ. لِأَنَّ كَثِيرِينَ وَكَثِيرَاتٍ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْبَنَاتِ حُرْمُوا حَتَّى الْآنَ. إِمَّا بِمَوْتِ أُمَّهَاتِهِنَّ أَوْ بِتَخَلِّي بَعْضِ الْأُمَّهَاتِ عَنْ مَسْئُولِيَّاتِهِنَّ. أَوْ بِانْفِصَالِ أَحَدِ الْأَبْوَيْنِ عَنِ الْآخَرَ وَتَرْكُوا الْأَوْلَادَ لِأَقْرَبَاءٍ أَوْ غُرَبَاءٍ يَقُومُونَ بِتَنْشِئَتِهِمْ. إِنَّ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ فِي حَاجَةٍ إِلَى قَلْبِ الْأُمَّ الْمُتَمَلِّئِ بِالْحُبِّ الْكَبِيرِ. إِنَّهُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى أُمَّ تَسْعَى إِلَيْهِمْ وَتَشْعُرُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ ابْنُهَا. إِذَا وَجَدَ الصِّغِيرُ الَّذِي حُرِمَ مِنْ عَطْفِ أُمِّهِ. مَحَبَّةً صَادِقَةً مِنْ أُمَّ لِيَصْدِيقَ لَهُ. قَالَ عَنْ صَدِيقِهِ بِفَخْرٍ وَتَقْدِيرٍ وَإِعْزَازٍ: "إِنَّ أُمَّهُ أُمِّي".^٤

عَزِيزِي الْقَارِي.. أَدْعُوكَ لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ رَبِّي يَا مَنْ فَدَيْتَنِي وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِسَلَامٍ وَفَرَحٍ لَا يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ. وَبِرَجَاءِ مُبَارَكٍ فِي حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ سَعِيدَةٍ مَعَ الْقَدِيسِينَ الْأَبْرَارِ وَالْمَلَائِكَةِ الْأَطْهَارِ. أَسْأَلُكَ إِلَهِي أَنْ تَمَلَأَ قَلْبِي بِفَيْضٍ مِنْ حُبِّكَ الْعَجِيبِ. لِأَفَيْضَ عَلَى كُلِّ مُنْعَطِشٍ لِيَرْتَوِيَ مِنْ حُبِّكَ الشَّافِي الْوَافِي الْكَافِي. وَلِيَعْرِفَ الْجَمِيعُ عَظَمَةَ حُبِّكَ. فَأَنْتَ مَصْدَرُ الْحُبِّ الْخَالِصِ النَّقِيِّ الطَّاهِرِ.. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِينَا الْبَارِ. مُتَكِلًا عَلَى وَعْدِكَ الصَّادِقِ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِي الْعَزِيزِ.. إِنَّ أُرَدَّتْ سَمَاعُ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر إشعفاء ٢٩: ١٣ ، إنجيل متى ١٥: ٨

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنين رومية ٥: ٥

^٣ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنين كورنثوس ١٣: ٨ ، **Lillian Trasher** ، **MOTHER TERESA**

^٤ رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ١: ٥ ، رسالة بولس الرسول إلى تيطس ١: ٦